

# مفردات "الزمن" ودلالاتها في القرآن الكريم

عودة عبد عودة عبد الله

مقدمة:

يتناول هذا البحث دراسة أهم المفردات الزمنية التي تنوب أحياناً في المعنى عن مفردة "الزمن"، وتأتي لتدل عليها وتحل محلها في كثير من السياقات، إذ قد يأتي الزمن بمعنى الوقت أو الدهر أو الحين، ويأتي أحد هذه المفردات أو غيرها بمعنى الآخر في سياقات أخرى.

والناظر في كتب اللغة يجد أهلها يعرفون هذه المفردة بتلك، وما ذلك في اعتقادي إلا من باب تقريب المعنى، إذ المنهج السليم في هذه القضية هو القول بعدم الترادف في القرآن الكريم، وما سيأتي من كلام حول الفروق الدقيقة بين هذه المفردات يدل على ذلك.

ويهدف هذا البحث إلى أمرين:

١- الوقوف على دلالة هذه المفردات الزمنية، واستكناه أسرارها، من خلال السياق القرآني الذي وردت فيه.

٢- بيان الفروق الدقيقة بين كل من هذه المفردات ومفردة "الزمن"، الأمر الذي يعد دليلاً واضحاً على بطلان القول بالترادف في القرآن الكريم.

وفيما يلي نظرة متفحصة في كل واحدة من هذه المفردات، ومقارنة لكل منها مع مفردة "الزمن"، التي هي أصل لكل المفردات الزمنية، وتوضيح لمفهومها ومعانيها ودلالاتها من خلال السياق القرآني الذي انتظمت فيه.

تمهيد: في معنى الزمن وأهميته في القرآن الكريم:

"الزمن" في اللغة اسم لقليل الوقت وكثيره. و"الزمن والزمان" لفظتان تحملان المعنى نفسه،

ولا فارق بينهما من حيث انتمايتهما إلى مادة لغوية واحدة<sup>(١)</sup>. وعرفه الزركشي بقوله: "إن الزمان الحقيقي هو مرور الليل والنهار، أو مقدار حركة الفلك"<sup>(٢)</sup>.

وبالنظر في القرآن الكريم فإننا نجد أنه لم يستخدم مصطلح "الزمن"، وإنما وردت فيه ألفاظ دالة على الزمن، كالوقت والحين والدهر ونحوها. وإذا كانت مفردة الزمن لم تذكر في القرآن، إلا أن الحديث عن الزمن في القرآن الكريم أمر لا يخفى على كل ذي نظر، وكيف لا يكون الأمر كذلك والزمن هو أنفس وأثمن ما يملك الإنسان؟ فهو الوعاء الحقيقي لكل عمل وإنتاج، وبقدر إفادة الإنسان من هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه، بقدر ما يعود ذلك عليه وعلى مجتمعه بالنفع والخير، سواء أكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة. ولذلك ينبغي على الإنسان أن يعرف شرف زمنه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة وطاعة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل. وما عمر الإنسان في حقيقته إلا مجموعة من الأيام، وكل يوم يمضي من هذه الأيام، وكل لحظة تمر، لا يمكن استعادتها أو تعويضها. وفي ذلك يقول الحسن البصري رحمه الله: "يا ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك"<sup>(٣)</sup>. ويقول: "ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة"<sup>(٤)</sup>. وما أجمل قول الشاعر:

دقات قلب المرء قائلة له      إن الحياة دقائق وثواني<sup>(٥)</sup>

ومن هنا فقد اعتنى القرآن الكريم بالزمن عناية فائقة، فعده من النعم العظيمة على الإنسان:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۗ وَإِن

- ١- انظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج ١٣، ص ١٥٩، ص ١٩٩، مادة "زمن". أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج ٣، ص ٢٢، مادة "زمن".
- ٢- محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم، القاهرة، د. ط، د. ر، ١٩٥٧م، ص ١٢٣. وعرف المرزوقي الزمن بأنه: "دوران الفلك". أحمد المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ١٢٣.
- ٣- انظر: أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المكتبة السلفية، ج ٢، ص ١٤٨.
- ٤- انظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٤٧.
- ٥- البيت لأحمد شوقي، قاله في رثاء مصطفى كامل. انظر: أحمد شوقي، الموسوعة الشوقية، جمع: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج ٥، ص ٣٥٦.

تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٦﴾. بل واعتبره من الآيات الدالة على وجود الله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ هَمَّ بِتَحْوِينَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿٧﴾. ودعا إلى استشاره في الخير، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٨﴾ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَهَ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨﴾.

وما يدل على عظيم أهمية الزمن في القرآن الكريم، قسم الله سبحانه وتعالى به، فهو سبحانه قد أقسم بعدة أمور في كتابه الكريم، ولا شك أن الله لا يقسم بشيء إلا إذا كان هذا الشيء عظيماً، فقد أقسم سبحانه بنفسه (٩)، وبالقرآن (١٠)، ونحو ذلك من الأمور العظيمة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم. وأقسم القرآن بالزمن سواء بذاته أو بأجزائه، وفي ذلك تنبيه على أنه آية كبرى من آيات الله، وتنبيه على عظم نفعه ووجوب استغلاله، والإفادة من كل أجزائه (١١).

ففي القسم بالزمن قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿١٢﴾، كما أقسم سبحانه بأجزاء الزمان وهي: الفجر (١٣)، والصبح (١٤)، والضحى (١٥)، والشفق (١٦)، والنهار (١٧)،

- 
- ٦- سورة إبراهيم، الآيتان: ٣٣، ٣٤.
  - ٧- سورة الإسراء، الآية: ١٢.
  - ٨- سورة المنافقون، الآيتان: ٩، ١٠.
  - ٩- قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَّا أَنتُمْ نَاطِقُونَ ﴿٢٣﴾ سورة الذاريات، الآية: ٢٣.
  - ١٠- قال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ سورة ق، الآية: ١.
  - ١١- عبد الستار نوير، الوقت هو الحياة، دار الثقافة، الدوحة، ط ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٤-١٥. وانظر: يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٥. وخلدون الأحمد، سوانح وتأملات في قيمة الزمن، الدار الشامية، بيروت، ط ٤، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ١٨.
  - ١٢- سورة العصر، الآيتان: ١، ٢.
  - ١٣- قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ سورة الفجر، الآيتان: ١، ٢.
  - ١٤- قال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ سوره المدثر، الآية: ٣٤.
  - ١٥- قال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ سورة الضحى، الآية: ١.
  - ١٦- قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١﴾ سورة الانشقاق، الآية: ١٦.
  - ١٧- قال تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ سورة الليل، الآية: ٢.

والليل (١٨)، والليالي العشر (١٩)، ويوم القيامة (٢٠)، والعمر (٢١).

وفي القسم بهذه الوحدات الزمنية تنبيه على الاعتبار بها في الاستدلال على حكمة نظام الله في هذا الكون وبديع قدرته. ولهذا سلك طائفة من العلماء طريق الاستدلال بالزمن على الصانع، وهو كما يقول ابن القيم: "استدلال صحيح، قد نبّه عليه القرآن في غير موضع" (٢٢).

ومما يدل على ذلك إلقاء نظرة على السور القرآنية التي أقسم الله فيها بالزمن ووحداته، عندها سنجد أنها سور مكية، والسور المكية - كما نعلم - تركز على العقيدة بشكل خاص، ومن ذلك الاستدلال على وجود الخالق، ومن هنا جاء القسم بالزمن في السور المكية من أجل لفت الأنظار إليه باعتباره دليلاً واضحاً، وبرهاناً قاطعاً، على وجود الخالق، وعلى بديع حكمته سبحانه في هذا الكون. ولن نستطرد هنا في الحديث عن أهمية الزمن وفضله وشرفه، وحديث القرآن عنه، ولكننا سنكتفي بهذا القدر لنلتفت إلى المفردات الزمنية الأخرى لنرى ما بينها وبين مفردة الزمن من علاقة.

أولاً: الوقت:

الوقت في اللغة: "مقدار من الزمان، وكل شيء قدّرت له حيناً فهو مُؤَقَّتٌ، وكذلك ما قدّرت غايته فهو مُؤَقَّتٌ" (٢٣). نقول: شيء موقوت ومُؤَقَّتٌ أو مُؤَقَّتٌ، بمعنى: محدود (٢٤). وعرفه الراغب بأنه: "نهاية الزمان المفروض للعمل، ولهذا لا يكاد يقال إلا مقيداً" (٢٥).

- 
- ١٨- قال تعالى: ﴿وَأَلَيْلٌ إِذْ أُنزِلَتْ﴾ سورة المدثر، الآية: ٣٣.
- ١٩- قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَكَوَالْعِشْرِ ۝﴾ سورة الفجر، الآيتان: ١، ٢.
- ٢٠- قال تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سورة القيامة، الآية: ١.
- ٢١- قال تعالى: ﴿لَمَعْرُكٍ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ سورة الحجر، الآية: ٧٢.
- ٢٢- محمد ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد سكر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص ٤٠.
- ٢٣- ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ١٠٧، مادة "وقت".
- ٢٤- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج ٦، ص ١٣١، مادة "وقت"، ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ١٣١، مادة "وقت".
- ٢٥- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٨٧٩.

وللدلالة على هذا المعنى (الزمن المحدد) جاءت آيات القرآن الكريم، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (٢٦)، أي: أنها محدودة بأوقات لا يجوز إخراجها عنها (٢٧). وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ﴾ (٢٨)، أي: جمعت لوقتها يوم القيامة، وهو الوقت الذي يحضر فيه الرسل للشهادة على أممهم، والفصل والقضاء بينهم (٢٩). وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٣٠) إلى يَوْمِ أَلْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٠)، وهذا يشير إلى زمن محدد، وهو اليوم الذي تقع فيه النفخة الأولى، وهو يوم معلوم عند الله تعالى ومعين، فلا يستقدم ولا يستأخر (٣١). واستخدم القرآن الكريم لفظ "الميقات"، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا﴾ (٣٢) وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِبُ النَّاسِ وَالْحَجَّ﴾ (٣٣) وغيرها.

والميقات هو: "الوقت المضروب للشيء، والوعد الذي جعل له وقت" (٣٤)، كما يمكن أن يقال الميقات للمكان الذي يجعل وقتاً للشيء. يقال: هذا ميقات أهل الشام، للموضع الذي يجرمون منه (٣٥)، كما يقال للهِلال: ميقات الشهر، وللآخرة: ميقات الخلق، وهو مصير الوقت (٣٦). أما الفرق بين الوقت والميقات فهو: أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال. والوقت

- 
- ٢٦- سورة النساء، الآية: ١٠٣.
- ٢٧- محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ١، ص ٥٤٩.
- ٢٨- سورة المرسلات، الآية: ١١.
- ٢٩- محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج ١٩، ص ١٥٧.
- ٣٠- سورة الحجر، الآيتان: ٣٧، ٣٨ وسورة ص، الآيتان: ٨٠، ٨١.
- ٣١- الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ١٠٤. محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ٧، ص ١٤١.
- ٣٢- سورة النبأ، الآية: ١٧.
- ٣٣- سورة البقرة، الآية: ١٨٩.
- ٣٤- الراغب الأصفهاني: المفردات، ص ٨٧٩. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ١٠٧، مادة "وقت".
- ٣٥- انظر المصدرين السابقين، نفس الصفحة.
- ٣٦- الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٤٩٠.

وقت الشيء، سواء أقدر فيه عمل أم لا، فهو ليس إلا حركة الفلك (٣٧). وعلى ذلك فإن صياغة "موقات" بصيغة اسم الآلة، اعتباراً بأن ذلك العمل المعين عبارة عن وسيلة لتحديد الوقت، فكأنه آلة للضبط (٣٨). يتبين مما سبق أن "الوقت" في القرآن ورد بمعنى المقدار من الزمن، وكل شيء قدرنا له حيناً. فيكون لفظ "الزمن" أعم من لفظ "الوقت"، ومن هنا صح عد "الوقت" مفردة من مفردات الزمن. ويؤكد هذا ما قاله اللغوي أبو هلال العسكري في التفريق بين الزمن والوقت، إذ يقول: "الفرق بين الزمان والوقت: أن الزمان أوقات متوالية، مختلفة أو غير مختلفة، فالوقت واحد وهو المقدر بالحركة الواحدة من حركات الفلك، وهو يجري من الزمان مجرى الجزء من الجسم" (٣٩).

ثانياً: الدهر:

ورد مصطلح "الدهر" في القرآن الكريم في موضعين:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (٤٠).

كان قوم - هم الدهرية - يزعمون أن المؤثر في هلاك الأنفس، هو مرور الأيام والليالي، وينكرون ملك الموت وقبضه للأرواح، ويضيفون الحوادث إلى الدهر والزمن، وهم بذلك ينفون البعث؛ لأن من كان موته بفعل الدهر لا يمكن أن يعود حياً (٤١).

الثاني: قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ (٤٢).

و"هل" هنا بمعنى: قد. والمعنى: قد أتى على الإنسان قبل زمن قريب - أي حين كان نطفة وقبل أن يخلق - حين من الدهر كان فيه شيئاً منسياً (٤٣).

وجاء في الحديث القدسي: "يؤذيني ابن آدم: يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر ألقب الليل

٣٧- الحسن أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م، ص ٢٦٤. الرازي،

التفسير الكبير، ج ٥، ص ٣٥٢.

٣٨- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج ٢، ص ١٩٦.

٣٩- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص ٢٦٤.

٤٠- سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

٤١- محمد أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار المصحف، القاهرة، ج ٨، ص ٧٣. أحمد بن محمد

الصاوي، حاشية الصاوي على الجلالين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ٤، ص ٧١.

٤٢- سورة الإنسان، الآية: ١.

٤٣- الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٦٥٣، الرازي، التفسير الكبير، ج ١٠، ص ٧٣٩.

والنهار" (٤٤). واستنادا إلى هذا الحديث عدّ بعضهم (٤٥) الدهر من أسماء الله الحسنى، وهذا فهم غريب، بل هو كما قال عنه المرتضى الزبيدي: "من الغرابة بمكان مكين" (٤٦)، وتعقبه ابن حجر في فتح الباري وأجاد في الرد عليه (٤٧).

أما معنى الحديث فهو: أن العرب كان شأنها أن تدم الدهر وتسبه عند الحوادث والنوازل التي تنزل بهم وذكروا ذلك في أشعارهم، ومنه قول ذي الإصبع العدواني:

أهلكننا الليل والنهار معا      والدهر يعدو مصمما جذعا (٤٨)

فأعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي يفعل ذلك بهم، إنها هو الله سبحانه وتعالى، وأن الدهر لا فعل له، وأن من سب فاعل ذلك فكأنه قد سب ربه (٤٩).

أما معنى "الدهر" في اللغة، وما بينه وبين "الزمن" من علاقة متداخلة، فأمر يحتاج إلى بسط وتوضيح.

يرى ابن فارس أن: "الذال والهاء والراء، أصل واحد وهو الغلبة والقهر" (٥٠)، ويتضح من كلامه أن "الدهر" اتصف بهذه التسمية لاتصافه بالغلبة، يقول: "وسمي الدهر دهرا لأنه يأتي على كل شيء ويغلبه" (٥١).

وبالنظر في لغة العرب وأشعارهم، يتبين أنهم يستخدمون المصطلحين فيما ينوب فيه أحدهما عن

---

٤٤- رواه البخاري، الصحيح مع الفتح، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج ٩، ص ٥٤٥، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَّ إِلَّا الْدَّهْرُ﴾، حديث رقم: ٤٨٢٦.

٤٥- قال أبو البقاء: "والدهر قد يعد في الأسماء الحسنى"، الكلبيات، (بدون معلومات نشر)، ج ٢، ص ٣٣٢.

٤٦- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج ١١، ص ٣٤٤، مادة "دهر".

٤٧- انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج ٩، ص ٥٤٦.

٤٨- ذو الإصبع العدواني: الديوان، تحقيق: عبد الوهاب العدواني ومحمد الدليمي، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٥٥.

٤٩- انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٩، ص ٥٤٥-٥٤٦.

٥٠- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٣٠٥، مادة "دهر".

٥١- المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

الأخر. فأبو هلال العسكري مثلاً، حين يعرف الدهر يقول: "جمع أوقات متوالية، مختلفة كانت أو غير مختلفة" (٥٢)، ثم يعرف الزمن بالتعريف نفسه (٥٣).

ونجد في الشعر قول أحدهم:

إن دهرا يلف حبلي بجمل  
لزمان يهم بالإحسان (٥٤)

وقول الآخر:

ومن يغرر بريب الدهر يوماً  
يجد ريب الزمان له خوؤنا (٥٥)

ولكن ذلك لا يعني أن المصطلحين مترادفان، وجل ما يدل عليه أنها قد يخلان محل بعضهما في بعض السياقات من باب التجوز، إذ بالتدقيق في معنيهما يظهر صحة ما أشرت إليه من فروق بينهما. وبيان ذلك: أن أكثر أهل اللغة على أن "الدهر" في الأصل اسم لمدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه. واستعير للدلالة على كل مدة كثيرة وزمن طويل كالعادة الباقية مدة الحياة، فنقول: ما دهري بكذا، وما ذاك دهري. وعلى هذا فهو يختلف عن "الزمن" الذي يطلق على المدة الكثيرة والقليلة. وإن كان بعضهم قد أجاز إطلاق "الدهر" على الزمن القصير، ولكن ذلك جاء من باب التجوز والاتساع (٥٦).

ثالثاً: الحين:

"الحين" في أصل اللغة: هو مطلق الزمن سواءً أكان قليلاً أم كثيراً (٥٧)، لذلك فإن "الزمن" يناوب "الحين" في الاستعمال في كثير من الحالات (٥٨).  
ولكن الفرق بينهما يبقى واضحاً لكل ذي نظر، إذ "الزمن" أعم من "الحين"، فإنه يصح أن نقول: حين من الزمن، ولا يصح العكس.

٥٢- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص ٢٦٣.

٥٣- المصدر السابق، ص ٢٦٤.

٥٤- البيت لشمر، انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٢٩٣، مادة "دهر".

٥٥- البيت لذي الإصبع العدواني. انظر: ديوانه، ص ٨٣.

٥٦- انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٣١٩. أحمد بن يوسف السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج ٢، ص ٢٧.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٧٣، أبو البقاء، الكليات، ج ٢، ص ٣٣٠.

٥٧- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ١٢٥، مادة "حين". السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج ١، ص ٤٧٦.

٥٨- أبو البقاء، الكليات، ج ٢، ص ٣٣١.



وورد مصطلح "الحين" في القرآن الكريم في أربع وثلاثين آية، وجاء في ذلك إما مقيداً وإما مطلقاً، فإذا جاء مقيداً فمدلوله ما قيد به، وإذا جاء مطلقاً فدلالته من عدة وجوه، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أ- الحالات التي ورد فيها مصطلح "الحين" مقيداً:

١- زمن القتال. قال تعالى: ﴿وَالضَّرِيرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ (٥٩).  
 أي: في زمن القتال والجهاد (٦٠). وأصل البأس في اللغة هو الشدة (٦١) وإنما سميت الحرب بأساً لما فيها من الشدة (٦٢). وامتدح سبحانه في هذه الآية المجاهدين، الذين يصبرون على مشقات الجهاد في سبيل الله تعالى.

٢- زمن نزول القرآن. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٦٣).  
 والمعنى: لا تتعرضوا للسؤال عما يسوؤكم بيانه، مما لم يجر ذكره في القرآن أو السنة رحمة بكم غير نسيان، وأما السؤال عن شيء نزل به القرآن، ولكن لم تفهموه كما ينبغي؛ فهذا غير مذموم (٦٤). وعلى هذا يكون المراد من حين النزول، ما قاله ابن القيم وهو "زمنه المتصل به، لا الوقت المقارن للنزول" (٦٥)، وفي هذا كما يقول: "إذن لهم في السؤال عن تفصيل المنزل، ومعرفته بعد إنزاله، ففيه رفع لتوهم المنع من السؤال عن الأشياء مطلقاً" (٦٦).

٣- زمن الوصية عند الموت. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ (٦٧).

- 
- ٥٩- سورة البقرة، الآية: ١٧٧.  
 ٦٠- ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٢٤٤، الرازي، التفسير الكبير، ج ٢، ص ٢٢٠.  
 ٦١- الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ١٥٣، ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٢٠، مادة "بأس".  
 ٦٢- الرازي، التفسير الكبير، ج ٢، ص ٢٢٠.  
 ٦٣- سورة المائدة، الآية: ١٠١.  
 ٦٤- الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج ٣، ص ٢٨.  
 ٦٥- محمد بن قيم الجوزية، بدائع التفسير، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج ٢، ص ١٢٤.  
 ٦٦- المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.  
 ٦٧- سورة المائدة، الآية: ١٠٦.

والمعنى: حين تظهر على أحدكم علامات الموت، ويريد أن يوصي بشيء، فليشهد على الوصية اثنان منكم ذوا عدل، أو آخران من غيركم إذا كان مسافراً (٦٨).

٤- زمن استغشاء الثياب والإيواء إلى النوم. قال تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٦٩).

وحين استغشاء الثياب: هو وقت النوم؛ حين يأوون إلى فراشهم، ويتدثرون بأغطيتهم، ويخلون إلى أنفسهم، فتسترهم الأغطية، ويسترهم الليل وإنما خص هذه الحالة بعلمه سبحانه، مع أنه يعلم ما هو أخفى، لأن الإنسان يحس عادة في مثل هذه الخلوة، أنه وحيد لا يراه أحد، فالتعبير على هذه الصورة، يلمس الوجدان الإنساني ويوقظه إلى هذه الحقيقة التي قد يسهو عنها (٧٠).

٥- زمن الإراحة والسرح. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٧١). والآية في الحديث عن الأنعام ومنافعها. ومعنى "حين تريحون"، أي: حين تردونها من مراعيها إلى مراعيها بالعشي. ومعنى "حين تسرحون"، أي: حين تخرجونها بالغداة من حظائرها (٧٢).

وأما تعيين هذين الوقتين بأنها مظهر من مظاهر الجمال، فذلك لأن ما يدور عليه أمر الجمال من ثغاء ورغاء، إنما هو عند ورودها وصدورها، أما عندما تكون في الحظائر فلا يراها راء ولا ينظر إليها ناظر. وقدم الإراحة على السرح لأن الجمال فيها أظهر، حين تقبل ملأى البطون حافلة الضروع، ولأن ذلك أتم في استجلاب الأنس والبهجة، لما فيه من حضور بعد غيبة، وإقبال بعد إدبار (٧٣).

٦- زمن العذاب في النار. قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٧٤) وجاءت هذه الآية بعد قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ

٦٨- علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٣٣٧.

٦٩- سورة هود، الآية: ٥.

٧٠- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط ٢٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج ٤، ص ١٨٥٥.

٧١- سورة النحل، الآية: ٦.

٧٢- النيسابوري، غرائب القرآن، ج ٤، ص ٢٤٤، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٥، ص ٩٧.

٧٣- المصدرين السابقين، نفس الجزء والصفحة.

٧٤- سورة الأنبياء، الآية: ٣٩.

صَكِرْفِينِ ﴿٧٥﴾ فهي مسوقة لبيان شدة هول ما يستعجلونه، وفضاعة ما فيه من العذاب، وأنهم إنما يستعجلونه لجهلهم بشأه (٧٦).

والمعنى: لو يعلم هؤلاء الكفار كيف سيكون حالهم في النار، حين لا يستطيعون أن يدفعوا النار عن وجوههم وظهورهم، ولا يجدون من ينصرهم وينقذهم، لو يعلمون كل ذلك، لما استعجلوا العذاب (٧٧).

٧- زمن القيام. قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٧٨﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٧٨). وقال: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٧٩).

وفي معنى القيام أقوال: قيل: حين تقوم إلى الصلاة. وقيل: حين تقوم من مقامك أو نومك. وقيل: حين تخلو (٨٠).

وهو سبحانه يرانا في جميع هذه الأزمان، بل هو الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماء والأرض، ومطلوب منا تسبيحه في كل الأزمان، فالأولى - كما يبدو لي - حمل المعنى على هذه الأزمان جميعا.

٨- زمن الغفلة. قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ (٨١).

أي: دخل موسى عليه السلام إلى المدينة (٨٢) في زمن كان فيه أهلها غافلين. قيل: دخلها عليه السلام في وقت عيد، وكانوا قد اشتغلوا فيه بلهوهم. وقيل: دخلها نصف النهار. وقيل: بين المغرب والعشاء. وقيل: إنهم لما أخرجوه لم يدخل عليهم حتى كبر، فدخل على حين غفلة عن ذكره لأنه قد نسي أمره (٨٣).

٧٥- سورة الأنبياء، الآية: ٣٨.

٧٦- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٦، ص ٦٧.

٧٧- إبراهيم القطان، تيسير التفسير، عمان، ط ١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج ٣، ص ١٤١.

٧٨- سورة الشعراء، الآيتان: ٢١٧، ٢١٨.

٧٩- سورة الطور، الآية: ٤٨.

٨٠- انظر: عبد الرحمن ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج ٦، ص ١٤٨، عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٣، ص ١٩٤.

٨١- سورة القصص، الآية: ١٥.

٨٢- المدينة هي مصر، وقيل: هي مدينة بالقرب من مصر. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٦، ص ٢٠٧.

٨٣- المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٠٨.

٩- زمن النجاة. قال تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلا تَجِئْ مِنَّا بِسَحَابٍ مِمَّا نَمُوتُ بِهِ وَنَجْيًا وَمَا يَجْتَنِبُونَ ﴿٨٤﴾  
 المناص: المنجا والملجأ و"لات" هي لا المشبهة بليس، زيدت عليها تاء التأنيث، كما زيدت على رب وثم للتوكيد(٨٥). والمعنى: أنهم استغاثوا واستجاروا عند نزول العذاب طلبا للنجاة، ولكن ليس الحين حين فرار ومهرب ونجاة(٨٦).

ب- الحالات التي جاء فيها مصطلح "الحين" مطلقاً:

وفي هذه الحالات جاءت مفردة "الحين" لتدل على ثلاثة وجوه من المعاني، وهي:  
 الوجه الأول والثاني: الدلالة على زمن الموت أو زمن قيام الساعة.

ومن الآيات في ذلك، قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٨٧)، وقوله: ﴿فَذَرَهُمْ فِي عَمْرِيَّتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٨٨)، وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٨٩).

والناظر في كتب التفسير يجد أن للمفسرين في تفسيرهم لهذه الآيات وشبهاتها ثلاثة اتجاهات:

- فمنهم من يفسر الحين فيها بأنه زمن الموت أو انقضاء الأجل(٩٠).

- ومنهم من يفسره بأنه زمن قيام الساعة(٩١).

- ومنهم من يجمع بين التفسيرين(٩٢).

- 
- ٨٤- سورة ص، الآية: ٣.  
 ٨٥- الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٦٩.  
 ٨٦- محمد الصابوني، صفوة التفاسير، دار السلام، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج ٣، ص ١١٩٨.  
 ٨٧- سورة البقرة، الآية: ٣٦ وسورة الأعراف، الآية: ٢٤.  
 ٨٨- سورة المؤمنون، الآية: ٥٤.  
 ٨٩- سورة يس، الآية: ٤٤.  
 ٩٠- انظر: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج ٣، ص ٢٢٩، ٢٥٩، الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ١٨٦، محمد بن يوسف أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج ٤، ص ٢٨٢.  
 ٩١- انظر: الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ١٤٥، ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٥، ص ٤٧٩.  
 ٩٢- عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج ٢، ص ٣٨٨، ضل بن حسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: هاشم المحلاتي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج ٧، ص ١٧٥، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٦، ص ١٣٩، محمد المشهدي، كنز الدقائق، تحقيق: حسين دركاهي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج ١، ص ٣٦٥.

وحقيقة الأمر أنه ليس ثمة منافاة بين القولين، ذلك لأنه "من مات فقد دخل في حكم القيامة" (٩٣) هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن اختلاف القول في ذلك بين هذا وذاك إنما هو باعتبار جزئية النظرة أو شموليتها، فإذا كانت النظرة جزئية باعتبار الفرد الإنساني، فهذا حينه هو بلوغ أجله، وإذا كانت النظرة عامة باعتبار الأمة الإنسانية، فهذه حينها قيام الساعة (٩٤)، ومن هنا صح حمل الحين في هذه الآيات على المعنيين كليهما.

الوجه الثالث: الدلالة على مطلق الزمن، ومن المواضيع التي دلت فيها مفردة "الحين" على هذا

المعنى ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لَيْسَ جُنُودَهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٩٥). والمعنى: ليس جنوده مدة، أو زمان ممتد (٩٦). وعن ابن عباس: إلى زمان انقطاع القالة وما شاع في المدينة. وعن الحسن: خمس سنين. وعن غيره سبع سنين (٩٧).

وهذه الآية في يوسف عليه السلام، والذي يبدو أنهم أرادوا زماناً مفتوحاً دون تحديده بوقت معين، أي: مطلق الزمن، أما من عين لهذا الحين زماناً "فإنما كان ذلك باعتبار مدة سجن يوسف، لا أنه موضوع في اللغة لذلك" (٩٨).

٢- قوله تعالى: ﴿تُوَفَّىٰ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (٩٩). ومعنى "كل حين"، قيل: كل سنة، وقيل: كل ستة أشهر، وقيل: كل شهرين، وقيل: كل شهر، وقيل: غدوة وعشيّاً، وقيل: كل زمن (١٠٠).

٩٣- إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٤٧.

٩٤- انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٢، ص ٣٨٨.

٩٥- سورة يوسف، الآية: ٣٥.

٩٦- النيسابوري، غرائب القرآن، ج ٤، ص ٨٤، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٢٣.

٩٧- النيسابوري، غرائب القرآن، ج ٤، ص ٨٤.

٩٨- أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٣٠٧.

٩٩- سورة إبراهيم، الآية: ٢٥.

١٠٠- انظر لهذه الأقوال: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٣، ص ٣٣٥، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٨٣.

الحازن، لباب التأويل، ج ٣، ص ٤٧٦، جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٢٥٩.

والشجرة المرادة هنا هي النخلة، كما يدل عليه ما أثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠١).  
وعليه فإن أصح الأقوال مما سبق هو القول بأنها تؤتي أكلها كل حين؛ أي في كل زمن، وهذا هو حال  
النخلة التي يؤكل منها الجمار (١٠٢)، والطلع (١٠٣)، والبلح (١٠٤)، والبسر (١٠٥)، والرطب (١٠٦)  
وغيرها، فأكلها دائم في كل زمن.

ثم إن سياق الآيات التي شبه فيها المؤمن وعمله بهذه الشجرة يقتضي هذا المعنى كما قال  
ابن كثير: "والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من  
صيف أو شتاء أو ليل أو نهار، وكذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آتاء الليل وأطراف النهار في كل  
وقت وحين" (١٠٧).

٣- قوله تعالى: ﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۖ وَأَبْصَرَهُمْ فَلَوْ يُبْصِرُونَ﴾ (١٠٨) والحين هنا مدة مبهمه دالة على  
مطلق الزمن، لأنهم لا يعلمونها، وإن كانت معلومة عند الله تعالى. وهي مدة الكف عن القتال حتى يأذن  
الله به فينصر المؤمنين على الكافرين، فتحل بهم الحسرة والندامة. قيل: تم ذلك في بدر، وقيل: في فتح  
مكة (١٠٩).

- 
- ١٠١- روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أخبروني بشجرة  
تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها، ولا، ولا، ولا، تؤتي أكلها كل حين"، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها  
النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: "هي النخلة" فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. فقال: ما منعك أن  
تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا.  
الصحیح مع الفتح، ج ٩، ص ٢٨٨، كتاب التفسير، باب رقم ١، حديث رقم: ٤٦٩٨.
- ١٠٢- الجمار: شحم النخل، توجد في قمة رأسه، تقطع قمته ثم تكشط عن جمارة في جوفها بيضاء، وهي تؤكل بالعلس.  
انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٤٧، مادة "جر".
- ١٠٣- الطلع: أول ما يرى من ثمر النخلة. انظر: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٣٨، مادة "طلع".
- ١٠٤- البلح: ثمر النخل مادام أخضر كحصرم العنب. انظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٤، مادة "بلح".
- ١٠٥- البسر: التمر قبل أن يرطب لغضاضته. انظر: المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٨، مادة "بسر".
- ١٠٦- الرطب: نصيح البسر قبل أن يتمر. انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٠، مادة "رطب".
- ١٠٧- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٨٣.
- ١٠٨- سورة الصافات، الآيتان: ١٧٤، ١٧٥.
- ١٠٩- الرازي، التفسير الكبير، ج ٩، ص ٣٦٣.

وجاء في نفس السورة بعد آيتين قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۗ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١١٠)، وليس ذلك تكراراً، فالحين الأول هو وقت عذاب الكافرين في الدنيا، والثاني وقت عذابهم يوم القيامة، أو أن الثاني تأكيد للأول (١١١).

ومما تجدر الإشارة إليه أخيراً، أن مصطلح "الحين" قد يضاف إلى "إذ" المنونة، عوضاً عن جملة محدوفة، وجاء ذلك في آية قرآنية واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٢﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنظَرُونَ﴾ (١١٢)، أي: حين إذا بلغت الروح الحلقوم.

رابعاً: العهد:

يأتي "العهد" في اللغة بمعنى الزمن. ومن ذلك القول: كان هذا على عهد فلان، أي: على زمنه (١١٣).

وعلى هذا المعنى وردت مفردة "العهد" في القرآن الكريم، وذلك في موضع واحد هو قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُونَ لَا نَبَأَ لَنَا مِنْ آلِ مِثْرَانَ وَاللَّهُ مُخْلِفٌ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ (١١٤). فالعهد في هذه الآية هو الزمن؛ أي: زمن مفارقتهم، فقد كان قوم موسى عليه السلام، قد وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيثار، فأخلفوا مواعده وعبدوا العجل (١١٥).

وهذه هي عادة اليهود في عدم الالتزام بالمواعيد، ونسمعهم في هذه الأيام كلما حان الموعد الذي قطعوه على أنفسهم، يصرحون بأن المواعيد لديهم غير مقدسة. وليس ذلك غريباً عليهم، فهم الذين أخلفوا وعدهم مع الله وأنبيائه، فكيف لهم أن يلتزموا بمواعيدهم مع أناس يرون أن الله خلقهم ليكونوا عبيداً لهم.

١١٠- سورة الصافات، الآيتان: ١٧٨، ١٧٩.

١١١- الرازي، التفسير الكبير، ج ٩، ص ٣٦٤، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٣٠٥.

١١٢- سورة الواقعة، الآيتان: ٨٣، ٨٤.

١١٣- ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣١٥، مادة "عهد".

١١٤- سورة طه، الآية: ٨٦.

١١٥- الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٨٠، عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص ٥٥،

ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢٨٢.

والذي يظهر لي في الفرق بين العهد والزمن: أن العهد يدل على فترة من الزمن، "يقال: طال عهدي بك؛ أي: طال زماني بسبب مفارقتك" (١١٦)، فالعهد هنا: زمن المفارقة. والعهد في الآية السابقة: زمن معهود كذلك، وهو زمن مفارقة موسى عليه السلام لقومه.

خامسًا: الأمد:

الأمد: هو الزمن والغاية (١١٧). ويطلق "الأمد" على المدة المحدودة من الزمن وإن كان حدها مجهولاً في حال إطلاقه، وقد يقيد فيقال: أمد كذا (١١٨).

والفرق بين الأمد والزمن أن الأمد يقال باعتبار الغاية، أما الزمن فهو عام في المبدأ والغاية (١١٩). ومن خلال تتبع مفردة "الأمد" في السياق القرآني، يظهر أنها جاءت مرتبطة بالدلالة على المعاني الآتية:

- ١- الرغبة في تأخر الزمن عند مواجهة العمل السيئ يوم الحساب. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١٢٠). أي: زمنا بعيدا وغاية (١٢١). وفي الآية ما يدل على أن حضور سيئ العمل عند الوقوف بين يدي الله للحساب يسوء النفس، فتود أن تطول الفاصلة الزمنية بينها وبينه. ولا يسع الإنسان حين يرى كل أعماله السيئة حاضرة بين يديه لم يرغب منها شيء، إلا أن يتمنى بعدها وعدم حضورها.
- ٢- ضبط زمن اللبث والإقامة. قال تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (١١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنُعَلِّمَهُمُ الْآيَاتِ الْغَيْبِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ (١٢٢)، أي: أيهم أضبط لزمنا لبثهم وغايته (١٢٣).

١١٦- الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٨٠.

١١٧- مجمع اللغة العربية بظهران، معجم ألفاظ القرآن الكريم، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ط ٢، ج ١، ص ٤٩، مادة "أمد".

١١٨- الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٨٨، السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج ١، ص ١١٤.

١١٩- المصدرين السابقين، نفس الصفحة.

١٢٠- سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

١٢١- مجمع اللغة العربية بظهران، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج ١، ص ٤٩.

١٢٢- سورة الكهف، الآيات: ١١، ١٢.

١٢٣- مجمع اللغة العربية بظهران، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج ١، ص ٤٩.



والمعنى: ثم أيقظناهم من نومهم الطويل، لنرى أي الفريقين أدق إحصاء للمدة الزمنية التي ناموها في الكهف. والفريق الأول هم الفتية الذين ظنوا أنهم لبثوا مدة يسيرة من الزمن، أما الفريق الثاني فهم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم، وكان الفتية بالنسبة لهم تاريخاً يتناقفونه فيما بينهم (١٢٤).

٣- طول الزمن كان سبباً في فسوة قلوب أهل الكتاب. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَتَّخِذَ قُلُوبُهُمْ لِزَكَّاءِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١٢٥). أي: طال عليهم الزمن والغاية (١٢٦). والآية تنهى المؤمنين عن مماثلة أهل الكتاب في فسوة القلوب، وذلك أن بني إسرائيل كانوا إذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله وركت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمن غلبهم الجفاء والقسوة، فاختلفوا وأحدثوا ما أحدثوه من التحريف والتبديل (١٢٧).

٤- الأمد بمعنى طول الزمن. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ (١٢٨)، أي: قل لهم يا محمد: ما أدري هل هذا العذاب الذي وعدتم به قريب زمنه، أم هو بعيد له مدة طويلة وغاية محدودة (١٢٩). وبهذا ينفض صلى الله عليه وسلم يديه من أمر الغيب، فالله سبحانه هو المختص بعلم الغيب، ولا يشاركه في ذلك أحد.

سادساً: المدة:

قال أبو البقاء: "المدة هي حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها، سميت المدة مدة لأنها تمتد بحسب تلاصق أجزائها، وتعاقب أبعاضها، فالامتداد إنما يصح في حق الزمان والزمانيات" (١٣٠). والذي يبدو لي أن قصر أبي البقاء رحمه الله لمعنى الامتداد على الزمان مجانب للصواب، فأهل اللغة حين عرفوا المدة جعلوها دالة على الزمان والمكان معاً، فقالوا بأنها: "الغاية من الزمان والمكان" (١٣١)،

١٢٤- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٣٦٤.

١٢٥- سورة الحديد، الآية: ١٦.

١٢٦- مجمع اللغة العربية بطنان، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج ١، ص ٤٩.

١٢٧- الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٤٦٥.

١٢٨- سورة الجن، الآية: ٢٥.

١٢٩- الصابوني، صفوة التفاسير، ج ٣، ص ١٥٩٠.

١٣٠- أبو البقاء، الكليات، ج ٤، ص ٣٠٧.

١٣١- ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣٩٩، مادة "مدد"، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دون

معلومات نشر، ج ١، ص ٣٧٧، مادة "مدد".

ففعالها "مد" يمكن أن يشتق منه "المدة" بمعنى الجزء من الزمان، كما يشتق منه لفظ "الامتداد" الذي يدل على المكان. وعلى هذا تكون المدة حاوية لبعدي الزمان والمكان، وهو ما لوحظ في الحديث عن الوقت والميقات، وهذا من جلال اللغة العربية ودقتها.

ووردت مفردة "المدة" في القرآن الكريم للدلالة على القطعة من الزمن قلت أو كثرت، وذلك في موضع واحد، هو قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٢)، وهذه المدة هي تسعة أشهر، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر، فأتم صلى الله عليه وسلم إليهم عهدهم (١٣٣). فقد حافظ الإسلام على عهد هؤلاء الذين وفوا بعهدهم، فلم يمهلهم أربعة أشهر كما أمهل غيرهم، ولكنه أمهلهم إلى مدتهم، وذلك على الرغم من حاجة الموقف الحركي للمجتمع المسلم في ذلك الحين إلى تخلص الجزيرة بجملتها من الشرك، لأن أعداء الإسلام قد تنهبوا لخطره، وأخذوا يجمعون العدة لحربه والقضاء عليه، (١٣٤) وتعد هذه الآية استثناء من المبدأ العام في العلاقة مع المشركين، والمتمثل بالبراءة المطلقة منهم.

يتبين من الكلام السابق عن "المدة" ودلالاتها في اللغة وفي السياق القرآني أنها تتفق مع "الزمن" في الدلالة على الوقت قليله وكثيره. ولكنها مع ذلك تفتقر عنه من ناحية أخرى؛ وذلك أن أقصر المدة أطول من أقصر الزمن، ولهذا كان معنى قول القائل للآخر إذا سأله أن يمهله: أمهلني زمنا آخر، غير معنى قوله: مدة أخرى، لأنه لا خلاف بين أهل اللغة كما يقول صاحب الفروق في اللغة أن معنى قوله مدة أخرى أجل أطول من زمن (١٣٥).

"ومما يوضح الفرق بينهما، أن المدة أصلها المد وهو الطول، ويقال: مده إذا طوله، إلا أن بينهما وبين الطول فرقا، وهو أن المدة لا تقع على أقصر الطول، ولهذا يقال: مد الله في عمرك... فإذا صح هذا، وجب أن يكون قولنا: الزمان فترة، يراد به أنه أطول الأزمنة، كما إذا قلنا للطويل إنه ممدود، كان مرادنا أنه أطول من غيره" (١٣٦).

١٣٢- سورة التوبة، الآية: ٤.

١٣٣- الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٢٣٩.

١٣٤- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٦٠٠.

١٣٥- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص ٢٦٣.

١٣٦- المصدر السابق، ص ٢٦٣-٢٦٤.

## سابعاً: الأمة:

الأمة في الأصل هي: " كل جماعة جمعهم أمر ما، إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد" (١٣٧). وورد من معاني الأمة في اللغة: الحين أو المدة من الزمن (١٣٨).

وجاء مصطلح "الأمة" في القرآن الكريم بمعنى الحين من الزمن في موضعين:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَيُنْزِلَنَّ عَلَيْنَا عَذَابٌ إِلَيْنَا أَمْتًا مَعْدُودَةً لِيَقُولُوا: مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَتْ بِهِم مَأْكَثُهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٣٩). فالأمة هنا هي المدة من الزمن، كما قال ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وجمهور المفسرين (١٤٠). وفي الآية ما يشير إلى أن الأمة - أي: الحين من الزمن هنا - قصيرة وليست طويلة، وهو قوله: "معدودة" لأن ما يمكن حصره بالعد فهو قليل (١٤١).

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِي﴾ (١٤٢) وقوله: "وادكر"، أي: تذكر، والأصل: اذتكر، أبدلت التاء دالا وأدغمت الذال فيها (١٤٣). ومعنى الآية: "وقال الذي نجا من السجن من صاحبي يوسف فيه وادكر بعد جماعة من السنين، ما سأله يوسف في السجن حين أول رؤياه: أنا أنبئكم بتأويل ما رآه الملك في منامه؛ فأرسلوني إلى يوسف في السجن حتى أخبركم بتأويل ذلك" (١٤٤).

- 
- ١٣٧- الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٨٦.
- ١٣٨- انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٢١، مادة "أم"، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٤، ص ٧٦، مادة "أمه"، أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ٢٠٦.
- ١٣٩- سورة هود، الآية: ٨.
- ١٤٠- انظر: الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٦، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ٩، أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ٢٠٦.
- ١٤١- إسماعيل بن حقي البرسوي، روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ١٠١، صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج ٦، ص ١٤٦، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ١٠.
- ١٤٢- سورة يوسف، الآية: ٤٥.
- ١٤٣- سعيد الأخش، معاني القرآن، تحقيق: عبد الأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج ٢، ص ٣٦٦، فتحي عبد القادر، من بلاغة القرآن في سورة يوسف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٠٣.
- ١٤٤- محمد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج ١١، ص ١٨٨. وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ٢٠١.

وعليه يكون المراد بالأمة هنا الجماعة من السنين، وهي تحديدا مدة نسيان ساقى الملك أن يذكر يوسف عند ربه، فلبث يوسف عليه السلام هذه المدة في السجن.

ولكن كيف صح تسمية الفترة الزمنية التي لبثها الساقى حتى تذكر بأنها "أمة"، ومعلوم بنص القرآن أن يوسف عليه السلام لم يمكث في السجن إلا بضع سنين، ومما لا شك فيه أن البضع (١٤٥) سنين، تدل على مدة زمنية أقل بكثير من الأمة.

يجيب ابن عاشور رحمه الله على هذا التساؤل معللا بإطلاق مصطلح "الأمة" الدال على زمن طويل، على زمن نسيان الساقى، بقوله: "وإطلاقه في هذه الآية، مبالغة في زمن نسيان الساقى" (١٤٦).

وهذه التفاتة نفيسة من ابن عاشور، فتسمية تلك الفترة الزمنية بالأمة من باب المبالغة، وذلك للدلالة على مدى المعاناة التي لقيها يوسف عليه السلام في سجنه، فبضع سنين خلف قضبان السجن، ربما تساوي في المعاناة، عشرات منها في فضاء الحرية الرحب، وربما لا يدرك هذا المعنى على حقيقته، إلا من اكتوى بلظى نيران السجن، فألقت به يد الظلمة والمستعمرين في غياهب السجون والمعتقلات. ولكنه موقف يوسف عليه السلام يعلمنا الصبر على البلاء، والتضحية في سبيل هذا الدين القويم.

ويلحظ فيما سبق أن القرآن الكريم أراد بمصطلح "الأمة" في الآيتين السابقتين، الحين من الزمن، مع أنها دالة في أصل معناها على الجماعة من الناس كما أسلفت، وكما تدل عليه آيات قرآنية أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ (١٤٧) فالأمة هنا جماعة الدعاة الذين يهدون الناس إلى الخير، ويكونون أسوة لغيرهم.

وتوجيه ذلك: أنه قد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه، كقولك: كنت عند فلان صلاة العصر، أي: في ذلك الحين. والمراد على هذا: إلى حين تنقضي أمة معدودة من الناس، فعبر عن الحين والسنين بالأمة لأن الأمة تكون فيها (١٤٨).

١٤٥- البضع في اللغة ما بين الثلاث إلى العشر، وقيل: من ثلاثة إلى تسعة، وقيل: من ثلاثة إلى سبعة. انظر: ابن منظور،

لسان العرب، ج ٨، ص ١٥، مادة "بضع".

١٤٦- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٢٨٣.

١٤٧- سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

١٤٨- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ١٠، صديق خان القنوجي، فتح البيان، ج ٤، ص ٢٢٩، ابن عاشور،

التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٢٨٣.

خاتمة:

- في نهاية هذا البحث نذكر أهم الخلاصات، وهي:
- ١- مصطلح "الزمن" لم يرد في القرآن الكريم، إلا أن القرآن تحدث كثيرا عن الزمن وفضله باعتباره الوعاء الحقيقي لكل عمل، وهو أئمن وأنفس ما يملك الإنسان.
  - ٢- يطلق الزمن على قليل الوقت وكثيره، وعليه فإن مفردة الزمن هي الأصل الذي تتفرع عنه كل المفردات الأخرى، كالوقت والدهر والحين ونحوها.
  - ٣- من المفردات الزمنية ما هو قريب في المعنى من مصطلح "الزمن" وهي: الوقت والدهر والحين والعهد والأمد والمدة والأمة، ولكن هذه المفردات غير مترادفة مع الزمن، وإنما بينها وبينه فروق دقيقة.
  - ٤- تدل هذه الفروق الدقيقة على أن القول بوجود الترادف في القرآن الكريم أمر يفتقد إلى الدقة والمصداقية.

### **Words for time in the Qur'an and their Significations.**

This paper sheds light on the words used in the Qur'an for time and temporality. It examines the verses where various expressions conveying the sense of time have been used. It explains semantic meaning of these words and makes a comparison between the nuances present in them.

The writer seeks to establish that every word in the Qur'an has been used in its suitable place to express a particular meaning that cannot be conveyed by any other word. He comes to the conclusion that there are no synonyms in Qur'an, as already held by the consensus of scholars.

\*\*\*\*\*